كن رائع الجمال

مقالات قصصية

يمان ياسرجي

الإهداء

يصطرع اللونان .. الأبيض والأسود .. فوق خارطة الأيام
يتناوبان .. زحفاً واختفاء ..
ويمعنان في اقتسام الأوقات .. والأشياء .. والملامح ..
نعم .. يتقاسمان حتى الملامح ..
لهذا .. ومن أجل أن نكون أجمل ..
أدعوكم .. كي نتجاوز آلامنا بقلوب بيضاء .. ونغالب همومنا بأيادٍ بيضاء ..
ونحاول .. نظل نحاول .. أن نكون رائعي الجمال.

يمان

حديث الطين

ما إن اكفهرّ وجه السماء بالغيوم الداكنة المثقلة بالماء وما إن بدأ المطر يهطل بغزارةٍ استوائيةٍ نادرةٍ .. حتى خرج فاتحاً ذراعيه المشدودتين أبداً فوق كآبته وهمومه ..

خرج فاتحاً ذراعيه وكفيّه .. ومشاعره .. وراح يدور حول نفسه، وحول محاور حياته الثقيلة مدندناً .. مترنّماً ومتخفّفاً من شحنات انفعالية قاتمة .. تستهلك وتُهلك الكثير من طاقات جسده وجوارحه وروحه.

دار .. ودار ببطء وهو يستقبل بوجهه الأمطار النقية .. ثم توجّه مباشرة إلى ذلك الركن القصي الذي أعدّه خصيصاً لاستقبال المطر، إلى تلك الواحة التي اصطنعها من التراب النظيف، وهو يزمع الخوض في تجربةٍ حسيّةٍ محضةٍ تستحضر له

أحاسيس الالتصاق بالطين وتحرّك في داخله مشاعر الانتماء إلى الأرض .. وتذكّره بالأصل في خلق الإنسان.

أطال المكوث في موقع تجربته المثيرة .. وراح يتمرّغ في لقاء طويل بين التراب والمطر .. ثم غمس يديه في واحات الطين ونظر إلى أصابعه المضرّجة .. تسيل منها القطرات الطينية الصامتة .. تأملها طويلاً .. وأنصت إلى وقع سقوطها فوق جلده .. وثيابه .. وأخاديد شعوره.

كانت توجعه .. وتوجع مسامعه لغة التراب ومصطلحاتها السائدة .. كانت تزكم أنفه .. وتغصّ في حلقه أبجدية الغبار المزمنة في أحاديث الكثيرين .. وكان الحوار معهم ـ رغم ثنائيته ـ يبدو له أحادياً في نظره ومن طرف واحد .. فهو يفهم لغتهم ويدرك كامل أبعادها .. إلا أنه يشعر بالغربة عنهم وعن عالمهم وكأنه زائر من الفضاء.

كان يتقن لعبة الحواس الأرضية تماماً .. إلا أنه كان يرتاع لخطورتها .. ويأبى إلا أن تكون لها القدرة على اختلاس فتراتها السماوية .. ..

فالعين .. تكون متلبّسة بأسمال من الوحل عندما لا تكفّ عن النظر إلى ما حرّم الله، تزدهيها الشهوة المحرّمة وتنتفخ في أوداجها سورة الخطايا .. وهي نفسها التي إن عفّت وغضّت صارت لؤلؤة من النور لا تكتحل بسواد.

والمسامع، والأفواه .. تصير معابر قذرة لجرائم الأخلاق والدمار الأسري أو الأخوي .. الذي يقتل أبرياء ويشوّه أحياء .. ويلطّخ الأفكار والأوطان والحياء .. وهي نفسها التي إن شفّت وكفّت ما تفوّهت بغير حروف النور ولا استطابت غير ذبذبات النور.

وكذلك خلايا الجسد الحي الباقية .. يتقدّمها القلب واللسان، إن شاءت انتظمت جميعها في سرايا الرحيل من الأوكار والجحور والمغاور إلى السكنى في هالات النور.

والعقل .. العقل حين تتوقّف آفاقه عند أسباب النماء المادي وتنخفض عتبات التواصل لديه إلى حدّها الأدنى فيتعاطى أوراق الشجر ويرتع في عشب المروج باحثاً عن جدول ماء .. ثم لا يلبث أن يمارس ما تبقى من فقرات عيشه الهائم في غريزية تلقائية، قد تصير همجية .. فتوصله إلى حدّ القتل والخيانة .. وهو نفسه الذي إذا اغترف من عوالم المعرفة غذاءه وزاده ومؤونته، واستشف من مكنونات الحق والنور وسائله وأنماط تعامله، وتقلّب بين مستويات التسامي والترقّي والتوقّد .. هو نفسه الذي يتحوّل في الجمجمة إلى ماسة يخترق بريقها حجب العظم واللحم والدّم لتشعّ في الآخرين نور العلم والفهم .. ونور الحق والعدل .. ونور الخير والجود والكمال، ولتقيم خلافة الله في أرضه .. تلك الأرض التي وُضعت للأنام، منها خُلقوا .. وإليها يعودون وما بين منها وإليها .. ما بين هذين القطبين الهائلين في حياة البشر .. تتعثّر الخطوات رغم وضوح الطريق .. ويضيع الاتجاه عند تعدّد البدائل .. وما ذاك إلا

لكثرة المتربصين بالإنسان وجرأة الأعداء عليه .. وهم أكثر التصاقاً به وأبلغ تقارباً في خطوط المواجهة .. نفسه التي بين جنبيه .. وشيطانه الذي يستوطن مجرى دمه .. وزينة وزخارف دنياه التي تتلألأ حوله لتمعن في امتحانه واختباره.

ويظلّ هدي الله وصراطه المستقيم منارة لا يضلّ من اهتدى بها، ولا يشقى من اتخذها دليلاً، ترفع سوية الطبيعة البشرية من طينية الجسد إلى نفخة من روح الله تستحق التكريم الملائكي الطاهر.

بين دائرتين

تدحرجتا .. تراكضتا خلف بعضهما .. تلاحقتا وتسابقتا وكانتا بين اللهو حيناً والجدّ حيناً آخر، تتدافعان وتتصارعان وتتعاركان ...

كانت تحاول كلّ واحدة منهما أن تطغى بمركزها ومحيطها ومساحتها على صاحبتها .. يتقارب المركزان فتشتركان بجزء من مساحتهما .. ولربما وصلتا إلى حدّ الانطباق التام لحظات خاطفة .. ثم يأبى كلّ مركزٍ بما يكنّه من خصوصية وتفرّد أن ينصهر في بوتقة الآخر .. أو أن يتوحّد معه مخافة أن تضيع ملامح دائرته في ملامح الأخرى.

قالت الدائرة الصغيرة للكبيرة:

. لا يغرينّك بي صغر مساحتي ... فإنني والله عصيّة على الذّوبان .. وإني لأستمدّ كلّ مقومات وجودي من مركزٍ خاصٍ قائمٍ بنفسه — لا بالآخرين – ومن محيطٍ وأنصاف أقطار

وعناصر تحمل بصماتي الشخصية وعلاماتي الفارقة .. لا يغرينّك بي كبر مساحتك ولا ضخامة الأبعاد التي تتوالد منها، ولا اتساع الحيّز التابع لحركتك اللولبية المتواثبة.

ردّت الدائرة الكبيرة بنفاد صبر:

. لا ضير في اتحاد مراكزنا .. ولا في اشتراك أجزائنا .. وأنا والله لست أرى في تبعيّتك لي إلا صوناً لك .. وحفاظاً على كيانك .. وتحت ظلالي الواسعة تتنفّسين نسائم الأمان والحماية .. وترتاحين من إشكالية التميّز والمعاناة.

أجابت الصغيرة بثقةٍ وشموخٍ واعتداد:

. من قال إني أخشى المعاناة .. أو أخاف التوغل في المساحات الغامضة .. من قال إني أستطيب الأمان الوافد الدخيل .. أو أقبل بغير الدفاع الشخصي .. من قال إني أرضى أن أكون غيري .. لا .. بل أنا التي لا تجد ضيراً في اختلافنا وتباينا .. بل إنني أجد فيه ثروة الحياة وثراءها.

وظلّ جدالهما قائماً ... وظلّت تنفتح آفاق من الحوار الحرّ بينهما .. متكافىء الأطراف تارة .. ومتباين القوى تارة أخرى .. إلى أن توصّلتا إلى وفاقٍ يرضي الطرفين.

تبسّم المركزان ... وعلّق أحدهما بطرافةٍ حول الموضوع:

– لو أدرك جميع البشر هذا "**البعد الجميل**" بين المراكز "مراكز القوى" .. الأمر الذي يجعلهم يقفون جميعاً على خط التماس في نقطة واحدة مشتركة .. تمنحهم التواصل دون الاجتياح .. والمشاركة دون تلاشي الحدود تمنحهم التفرّد دون القطيعة .. والتميّز دون التباغض .. وما هذا البعد الجميل إلا تطبيق عملي لمنهج من قال في ذات يوم: "رحم الله امرأً عرف حدّه فوقف عنده".

لله يا محسنين

شعر أحمد بالحياء أمام تلك الكلمات التي تردّدت مرّاتٍ ومرّات في معرض الاستعطاف والتسوّل ...

– لله يا محسنين .. لله مما أعطاك الله .. من مال لله يا محسنين .. من مال الله ..؟؟؟؟

تباطأت خطواته وهو يسمع إلحاح ذلك الشحّاذ الذي كان قد تجاوزه بعض الشيء .. قال في نفسه "حقاً إن المال مال الله .. فمن ذا الذي يملك التصرّف المطلق فيما هو لغيره .. حتى وإن كان الله عزّ وجلّ قد نسب ملكيته للبشر، وجعل أسبابه في أيديهم ".

تردّد قليلاً .. ترددّ لعلمه أن التسوّل مهنة يستخدمها البعض للتكسب، حيث لا ضنك فيها سوى إرهاق الأرجل وإراقة ماء الوجه وشيء من الأكاذيب والخدع و الأساليب الشيطانية.

تردّد قليلاً .. ثم مدّ يده إلى جيبه بسرعةٍ قبل أن يضعها بما تحمل في كفّ ذلك المتسوّل .. ومضى يحثّ الخطا إلى غايته، والدعاء والثناء يلاحقانه قبل أن يصطادا مارّاً غيره، وقد حُشدت أفانين الدعوات المدروسة تبعاً لكلّ حالة، مما يُظنّ أنه مدعاة لاستخراج ما في الجيب من دراهم وما في النفس من بذل وما في القلب من إشفاق وما في العقل من استشعارٍ للمنعم والنعم.

غادرته الكلمات إلى غيره .. ولكنها ظلت تناديه بقوةٍ ووضوحٍ داخليين .. فحملها معه إلى بيته، وهو يستظلّ بها وبحروفها التي أحس بها وارفة المعاني .. نورانية البريق .. آسرة العطاء .. بل توقع أن يجد في أعماقها كنوزاً من الخير .. ليس عليه إلا أن يجتهد للعثور عليها وأن يسعى لامتلاك نواصيها .. وأن يجدّ في استقصاء فوائدها.

جلس إلى حاسوبه الشخصي .. وأخذ يكتب حروف الكلمة التي ظلت تناديه .. في إلحاح الدعوى التي تحتاج إلى

بينةٍ ودليل ((م ..ح ..س ..ن ..ي ..ن)) وتساءل في نفسه المتطامنة المتفاخرة ((لعلك اليوم تختال تيهاً وأنت تظنّ نفسك من المحسنين .. إنها والله لدعوى اطمأنت نفسك الشحيحة إليها فهلمّ .. قم وهات البينة على ذلك ..)).

وبدأت السطور التي تتقافز على شاشة الحاسوب ترسم له الحدود والمجالات والنواحي .. التي تجعل من قيمة الإحسان ومعانيه ومقاماته، فضاءً واقعياً لا خيالياً .. يستطيع التحليق في أجوائه بجناح الصدق والإخلاص .. وجناح المجاهدة والهمّة .. فمن الإتيان بالعمل على أفضل وجه لائق ..

إلى كظم الغيظ مع القدرة على إنفاده ..

إلى العفو والصفح عن الناس ..

إلى الإنفاق في السراء والضراء من أطايب المال ..

إلى إرادة وجه الله وثواب الآخرة حصراً في كل ما يفعل ..

إلى وقاية النفس من نار الشهوات المختلفة ..

إلى حفظ القلب من الغفلة ..

إلى رفع الأذى عن الخلق وإيصال النفع إليهم ..

إلى تحقيق العبودية لله .. وذلك في فعل المأمورات وتجنب المنهيات، وفي الصبر على المضرة والبلاء، وفي الشكر على النعم قولاً وعملاً، وفي التوكل عليه والتفويض إليه والتسليم والرضا بكل حكمٍ وقضاء ..

والله يحبّ المحسنين.

نظر أحمد في الأوراق التي خلفتها الطابعة مكتظة بالكثير الكثير من الكلمات والشعارات والعناوين ..

قرأها مرّة بعد مرّة .. بإمعانٍ وتركيزٍ وتفهّم .. وراح يطوف على سطح نفسه عزمٌ صحيح على أن يحوّلها جميعاً إلى صورٍ مرئيةٍ .. حيّةٍ ملونةٍ .. متحركةٍ ناطقةٍ .. تتجسد في مواقف وهيئاتٍ .. وتفاصيل صغيرة أو كبيرة في حياته اليوميّة .. لتثبت وجودها المتفاعل الحيّ .. ولتعبّر عن حضورٍ دائمٍ في أنماط سلوكه وتعامله مع الآخرين .. وليصير الإحسان أبداً من أهمّ صفاته .. وأولى أدواته .. وأصدق اختياراته واجتهاداته.

رتب أحمد أوراقه الثمينة هذه .. وراح يضيف إلى كلّ موضوعٍ أو عنوانٍ، خطوة عملية يقترحها .. ليباشر إلى تنفيذها .. ثم .. ..

ثم أمسك بأحد الخيوط المؤدية إلى طريق الخير والبر .. بدأ بالتحرّي عن المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً وهم في حساب من لا يعرفهم أغنياء من التعفف .. وسارع إلى دراسة أحوالهم ومحاولة إيجاد أو تقديم العون إليهم.

وسار الخطوة الأولى فعلاً .. وهو يتأمل من رب العزة أن يعينه على الاستمرار في دروب حقيقة الإحسان المتشعبة ليظلّ دائماً وأبداً في أوثق علاقة مع الله .. ومع الناس ومع الكون و الكائنات.

السباق

وقف الجميع أمام غابة اللؤلؤ المتناهية الأطراف، وقد حمل كل واحد منهم – اعتماداً على قناعاته واستعداداته – أدواتٍ خاصة يعتقد أنها تكفل له الفوز الذي يتمناه في سباق جمع اللؤلؤ.

كانت شروط الدخول في هذا السباق مرنة جدّاً .. فالوسيلة غير محددة .. والزمن انتقائيّ كيفيّ مرهون بشخص المتسابق ومعالمه النفسية ومرتبط بالحصيلة التي يقدّمها في نهاية المطاف.

انطلقت صافرة البدء .. وراح المتسابقون يتنافسون الطريقة والأداة .. والوسيلة .. إلى الفوز والنجاح.

نظر عدنان إلى ساعته الرقمية الالكترونية .. ذات التقنية العالية، وعلى شاشاتها المتعددة راح يسجّل أرقاماً تختصر له معالم هذا السباق الخاص من نوعه .. ضغط فوق زرٍ أحمر ليجعل العدّ التنازلي للساعات والدقائق مبتدئاً من زمن النهاية .. ضغط الزر الأخضر ليحمّل الحاسوب مهمّة إحصاء كافة الاحتمالات الممكنة لكمية اللؤلؤ المطلوبة ونوعيته أما الزر الأزرق فقد بدأ يقترح الوسائل المجدية والأكثر نفعاً والزر الأصفر أخذ يحدد أماكن تواجدها مصنفاً أنواعها وأحجامها وأثقالها ..

ضغط الزر المعدني، زر الحالات الطارئة والأكثر تعقيداً فأجابه صوت آليّ متمكن:

-رصيد .. الجهد .. الفردي .. باهت .. يدٌ .. واحدةٌ لا .. تصفق .. عفواً .. لا .. تَغْنَم .. يد .. الله .. مع .. الجماعة .. استخدام .. الجذب .. الجماعي .. أجدى.

استجاب عدنان لهذا التحليل المنطقي وقال في نفسه ((أنا في حاجةٍ إلى فكرة تجعلني ألتقط الكثير دفعة واحدة، فهذا ما يغنيني عن اغتراف اللؤلؤ بالكفين معاً)) .. وبعد تفكيرٍ طويلٍ وعميقٍ قال:

-لو نثرت رذاذ مادة لاصقة فوق حبّات اللؤلؤ المتناثرة ثم نثرت برادة الحديد عليها .. إذاً لأمكنني استخدام مغناطيسٍ هائلٍ من جذب الحديد العالق بالحبات.

علّق الصوت الآلي مباشرة على الطرح السابق:

- أين .. الجدّة .. والتميّز .. أين .. الإبداع ؟

- فعلاً .. .. إن دراسة وتطوير ذرات الحديد لجعلها لاصقة في ذاتها، يشكّل سبقاً علمياً لا قِبَل لأحدٍ به .. وهو يكلّل هامتي بغار النصر العلمي وتحدّي الذات.

ابتهج الصوت الآلي المنبعث من ساعته قائلاً:

- المزيد .. المزيد .. من .. الخطط .. والأفكار .. والخيال يا سيدي .. ولا .. تقلق .. على .. طريقة .. التنفيذ هاهي

.. معادلات .. سبع .. أضمن .. لك .. في .. إحداها تحويل .. الحديد .. العادي .. إلى .. لاصق.

ثارت في نفس عدنان رغبة الطمع بالحصول على الأضعاف المضاعفة .. نظر إلى من حوله لعلّه يجد مساعداً أو متبرعاً للانضمام إليه إلا أن الجميع كانوا في شغل عنه .. منهمكين ومنكفئين على ذواتهم ووسائلهم .. تلفّت وقال في قلق:

– أنا في حاجةٍ إلى كائنٍ يساعـ .. ..

قاطعه الصوت الآلي وفي نبراته استهزاء غامض:

– كائن .. واحد .. يضاعف .. رصيدك .. مرة .. واحدة اقتراح .. ضعيف .. جداً.

ردّد عدنان خجلاً:

– كائن اقتراح ضعيف .. إذاً .. كائنات.

وما أن تلفّظ بالكلمة حتى تقطّع صفير الحاسوب مع ومضات ألوان أزراره الحكيمة وهي تعمل على استخراج حقيقة ما، نطق بها الصوت الآلي أخيراً:

– النمل .. يا سيدي .. النمل .. أدهى .. الكائنات .. في .. الجمع .. والالتقاط .. والصبر.

سارع عدنان إلى مملكة النمل، وراح يتأمل عملها الدؤوب ثم أخذ يسجّل إشاراتها ويوثق حركاتها ويحاول فكّ رموزها وألغازها ..

نظر إلى مؤقت العدّ التنازلي للزمن فوجد أنه قد قضى شطر المدّة المزعومة بينما لم تجمع له كفّاه إلا القليل، لكن المعادلة الصائبة المرجوّة من المعادلات السبع كادت أن تُحلّ تحت صرير قلمه وإصراره .. وهي تكفل له رافداً عظيماً يثري سلّة لؤلؤه الخاصة.

بذل قصارى جهده .. وشحذ قوى عزيمته .. واستغل أقصى طاقاته .. كانت لديه مهمة عسيرة أخرى .. أكثر دقّة وأهمية من سابقتها .. ومع الدأب والصبر والمصابرة .. ومع المجاهدة والتحدي استطاع أن يفكّ شيفرة لغة النمل .. وقد انتشله من عميق تجاربه صوتٌ واثق:

– الأبجدية .. النملية .. جاهزة .. يا سيدي .. والكلمات ذات المعنى .. أقصد .. الأوامر .. بقيت .. مهمّتك الأخيرة .. ولكن .. احذر .. الزمن.

رفع عدنان رأسه لأول مرة منذ بدء السباق .. ورمق غابة اللؤلؤ الجميلة بعينٍ ملؤها الحبّ والفخر والانتصار وابتسم بحنان المشتاق وقد سارت به أشواقه في دربٍ طويلٍ من التعب والمثابرة والصراع المرير مع الزمن والمعاناة.

رفع سلّته على ظهره الممشوق .. بينما حمل في يديه وسيلتين فعّالتين .. قام بتسجيلهما في قوائم الإختراعات العلمية، وحصل على براءتي اختراعٍ في زمنٍ قياسي .. ثمّ راح يغذّ السير في الدروب المتلاحقة الكثيرة آملاً في أن يكون رصيده من الغنائم في نهاية السباق ما لا عينٌ رأت .. ولا أذنٌ سمعت .. ولا خطر على قلب بشر.

حبال السماء

في نهاية دورة الإعداد والتدريب على القفز المظلي والتي دامت بضعة أشهرٍ ونيّف، تسلّمتُ ورفاقي حقائب مظلاتنا الخاصة الملوّنة بطريقةٍ كرنفاليةٍ تضفي على حفل التخرج طابعاً كونيّاً بديعاً ... كانت الأشكال والألوان مدروسة ومصممة لتجعل من النجوم والأقمار والشهب فرقاً احتفالية تتساقط فوق أرض المهرجان ... وكان الرقص في ساحات الفضاء وفوق أعنّة الهواء متعة المظليين جميعاً والمتفرجين على حدّ سواء.

بدأت اللوحات الراقصة في السماء تتشكّل في انسيابيةٍ وذكاءٍ لترسم لغة الأفلاك المتوهّجة والمجرات المتلألئة .. ولتترك في كنه الأبصار المشدودة إلى الأعلى سرّاً تحاول من خلاله فكّ لغز الوقوف في الهواء .. أو تسلّق الحبال التي تربط الأرض بالسماء ..

وكنت في وسط السابحين في الهواء في بذلةٍ ذهبيّةٍ اللون تحاكي لون الشمس .. وكان دوري المركزي يتطلّب مني أن أكون أول من يفتح مظلّته للهبوط .. وما إن أطلقتها من عقالها حتى انتفضتْ بعنفٍ جعل أحد حبالها ينقطع ليختلّ توازنها، ومن ثمّ توازني .. وأدركت أني على مشارف السقوط الحرّ .. إن لم تتداركني عناية الله ولطفه ... نظرت في عيون رفاقي بحدّةٍ وبسرعةٍ ... ثمّ هويت ... وأنا أصرخ ... آه .. آه .. آه ..

واستيقظتُ فزِعاً ... لأجد نفسي في فراشي .. .. أوصالي ترتجف .. ونبضاتي تتقافز وقلبي يختلج كطائرٍ مذبوح التفتُّ يساراً ثم تفلتُ ثلاثاً كما أوصاني الحبيب المصطفى عند رؤية ما أكره في المنام .. ونظرت إلى مظلّتي الخاصة التي ترقد فوق كرسيٍ بجوار سريري في انتظار يوم التخرج الموعود وحمدت الله أنه لم يأت بعد .. وأن الساعات التي تفصلني عنه كافية لتجعلني أستردّ أنفاسي من جديد.

قمت إليها أتحسسها بأنامل يرتعش فوقها حلمٌ مفزعٌ لم تغادرني آثاره بعد .. واستجمعت شجاعتي لأتفحصها ثانية .. ورحت أبالغ في اختبار حبالها .. وكأنني ألوذ بها وأعتصم بمتانتها وألتمس فيها الأمان والثقة .. ولاح لي أن نسبة الأمان تزداد بازدياد عدد الحبال .. فالحبلان أوثق .. والأربعة أمتن .. والثمانية أكثر أماناً .. والعشرون تلغي كلّ احتمالات الخطأ أو الضعف أو الفشل بإذن الله ..

وهكذا .. ..

وهكذا تصير الحبال كثيرة العدد عدّة متفوّقة للرحيل بين السماء والأرض .. ونصيباً موفوراً من القفزات الناجحة .. واكتساباً لا يستهان به من الخيرات.

وبينما أنا في تأملاتي العميقة .. إذ سمعت أذان الفجر يتسلّل كنداءٍ سماوي آسر .. تغلغل في كياني .. وأخذ يحفزني للتحليق في رحاب الطاعات، وسرعان ما استجبت له فردّدت أذكاره الشريفة .. ثمّ أتقنت طهارتي ووضوئي .. ثمّ اتجهت إلى

محرابي الصغير في خشوع العابد المصلّي .. ثمّ اختتمت فرضي بالتسابيح المسنونة .. ثمّ تلوت آيات من القرآن الكريم .. ثمّ جلست أذكر الله حتى طلوع الشمس التي حملت إليّ فوق أشعّتها نهاراً جديداً .. رحت ألتمس فيه المزيد المزيد من الصلات مع السماء.

قشرة البيضة

تكوّن في داخلها بصمتٍ جميل ...

كانت حرارة الحضانة تتغلغل في مسامات القشرة كما تتغلغل أشعة الشمس الطيبة في مسامات الأحياء، لتهبها الطاقة والحياة ..

واستطاب النمو اللذيذ الواهن .. الذي يجعل خلاياه تتمطى بتكاسل شديدٍ وهي تنمو ببطءٍ خيالي لا يصدق ..

ومرت الفصول الأربعة متوالية متتالية ..

مرت بزخمها دون اكتراث متبادل _ منه بمرورها، ومنها بوجوده المنفرد _ لكن إشاراتها الإيجابية المحرضة راحت تتزاحم حول حدود القشرة المحيطة بجسده الغض لتنقل إليه الإحساسات المركزة مترعةً بصخب الربيع الملون .. ثم بلزوجة الحر الصيفي القائظ .. ثم برائحة التراب الخريفي المبلل .. ثم بزمجرات الرعد والبرق في الشتاء الكئيب.

واستيقظت حواسه كلها دفعةً واحدة .. إلا أن السمع كان نافذته الوحيدة التي يطل بها على العالم ..

كان يكتفي من ذلك العيش بالإصغاء إلى همهمات الريح وهي تداعب قشات عشه الدافىء، بالإصغاء إلى صوت ارتطام قطرات المطر فوق البيضة التي يتقوقع في داخلها، بالاستماع إلى ترنيمات الطيور المتقافزة على الأغصان.

أغمض عينيه طويلاً ..

وعندما فتحهما قليلاً .. وجد لوناً واحداً يلفّه من الجهات الست .. حاول أن يتطلّع بنظرٍ ثاقبٍ إلى ما وراء الجدار .. تمنّى أن تستحيل كتامته إلى شفافية يرى من خلالها الأشياء _ ولو كانت ضبابية أو متداخلة _ أو لعله تمنى أن تصبح القشرة زجاجية يرقب خلفها أحداث العالم دون أن تمسّه إرهاصات الشر المتناثر هنا وهناك.

كانت فترة حضانته الطويلة الطويلة تحيط به فتشكل له أبعاد الكون وأقطاره، وترسم له حدود الحرية والامتداد، وتترك مدى الرؤية ومجالاتها محصوراً ضمن قدسيتها وتداعياتها.

وفي عالمه الصغير هذا لم تكن خارطة العالم الخارجي في ذهنه غنية أو حقيقية .. ولم تكن أفكاره أصيلة أو ذاتية .. ولكنه نما كثيراً .. وازداد حجمه .. وبدأت عضلاته تقسو وتتصلب ..

علا نداء الفطرة في داخله وراح يقرع مسامعه وجوارحه بإلحاح وإصرار .. وبدأ يجري في عروقه دم الشوق الغريزي إلى الطيران .. جارفاً .. هيّاجاً.

أخذ جناحاه ينتفضان في ضيقٍ وتململ .. وارتفع رأسه قليلاً بين كتفيه .. إلا أن حدود المكان هزأت من أحلامه ومطامحه ..

رضخ بصبرٍ وأناة .. واستجاب بمعاناةٍ صامتة إلى هذا الاحتجاز القسري .. وتعايش مع قدره الواقع تحت ظلال

الحماية المفروضة والحنان المطوق، إلى أن تناهى إلى سمعه تمتمات مبعثرة تتناثرحوله .. وخيّل إليه أن ثمة خفق أجنحةٍ تمتد .. ثم ترفّ .. ثم تتخامد مبتعدة.

دبّ الرعب في قلبه .. وشعر بالبرودة والوحدة والعراء ..

صار صفير الريح يبدو أعلى في أذنيه .. ثم خيّم السكون المطبق وتمددت العتمة الثقيلة فوقه لتسحقه ..

صاح بصوتٍ داخلي مرتجف:

_ أمـ ..اه ... أبتـ ..اهـ .. هل .. أنتما هنا ؟

وعاد صدى صوته الضعيف ممزقاً. متلاشياً .. واجفاً ..يخبره ببداية وحدته الحقيقية ويعلن له اقتراب ساعة الصفر .. ويطلق في بواعثه الكامنة شرارة الإحساس بضرورة الخروج إلى الكون الأرحب .. وتنامى الصوت مدويّاً .. (**اكسر قشرة البيضة .. وانطلق .. فقد طالت رقدتك فيها .. وصار الاستئذان أدباً غير مجدٍ ولا مقنع**) ..

رفع منقاره الصغير _ لا ليس صغيراً _ ولكنه أقل صلابة مما ينبغي ..

حاول أن يطرق .. أعاد المحاولة مرات ومرات ...ولكن الأعوام المديدة جعلت من القشرة جداراً سميكاً تعجز أمامه أداة ثقبٍ بدائية غِرّة ..

راح يلملم قواه الخفية .. ويحشد من الذاكرة فنون التعامل مع الأسباب .. ويستغل قدراته الداخلية ليتحسس معالم الزمان والمكان ..

دار في خلده أن التماسه لشعاع الشمس البكر يُكسب المنقار الصلابة المطلوبة والكافية للخطوة الأولى .. واطمأنّ بحدسه إلى أن مدة قصيرة من الزمن تفصله عن فجر يوم جديد .. وإلى أن أشعة الضياء لن تخطئه هذه المرة .. بعد أن آل إلى وحدةٍ ألغت جميع الحواجز التي كانت ترمي بظلالها العفوية على وجوده.

المقاعد الخالية

بيدٍ مرتعشة وضع فنجان القهوة فوق طاولة مكتبه المزدحمة بالأوراق والكتب والأدوات المكتبية ..كانت عصاه _ التي يتوكأ عليها _ رجله الثالثة _ تمنحه التوازن وتعينه على رفع قامته تطرق طرقاً رتيباً فوق أرضية منزله فتجعل من صداها مؤنساً ورفيقاً لا يغادره أبداً ..

جلس فوق كرسيه وقد أضاف إليه وسادة وثيرة توفر له المزيد من الراحة لأنه يديم الجلوس إلى مكتبه لممارسة القراءة والكتابة وقد أضحت هوايته الوحيدة.

رن جرس الهاتف فالتقط السماعة بلهفة من يبحث عن سمير:

_ أبا عارف ..! أهلاً .. أهلاً يا رجل .. أين أنت ؟؟ لقد اتصلت بك خلال هذا الشهر عدة مرات .. لقد شغلت بالي عليك.

_ حيّاك الله يا عزيزي .. كنت كما تعلم عند ابني لأحضر زفاف حفيدي .. لم أكن أتوقع أن يطول سفري .. ماذا أفعل ؟ لقد اغتنموا فرصة وجودي وقاموا بإجراءات الخطبة لأخيه الأصغر فحضرت احتفالاتهم.

_ حمداً لله على سلامتك .. وبارك الله لهم جميعاً .. حقاً .. ما أجمل أن يكون للمرء بنون وحفدة.

_ الآن تقول هذا ! .. كم مرة حاولنا إقناعك بالبحث عن ابنة الحلال .. وكنت ترفض الزواج .. لا تقل لي إنك نادم .. لقد فات الأوان.

_ لا .. لا .. الحمد لله على كل حال .. كل شيء قسمة ونصيب .. قم يا رجل وتعال .. فالمساء مازال بأوله ..

ـ أرجو أن تقبل اعتذاري .. اليوم أنا بحاجة إلى الراحة .. لكنني أعدك بالقدوم غداً صباحاً .. ما رأيك ؟ أتستقبلني في العاشرة ؟.

ـ على الرحب والسعة .. سأكون إن شاء الله بانتظارك .. وسنخطط معاً لحفل صغير ابتهاجاً بعودتك من السفر .. سأدعو كل أصدقائنا .. دعنا نعيد عهد صالوننا الأدبي وذكرى أماسيه الرائعة .. إذاً .. تصبح على خير .. ألقاك غداً إن شاء الله.

.. ... وضع السماعة ثم احتسى قهوته المسائية بنشوة غامضة سرت في عروقه الكهلة وجددت دماء الشباب المنقرض بين أعطافه التي تلتف ببردة سميكة تحميه من نسمة عابرة باردة ..

ومرت ليلته لا كالليالي المعتادة .. اختلفت ساعاتها فيما بينها طولاً وقصراً .. تتسارع حين تقفز صور الذكريات الجميلة

إلى مخيلته مليئة باللقاءات والأمجاد .. وتتباطأ عندما تتحرك السنون مثقلة بأمراض الشيخوخة ومعاناة الوحدة والفراغ.

وبزغ الفجر السعيد المنتظر بعد إغفاءة لا يعلم مداها .. لكنه شعر أنه نام طويلاً .. وبعمق جميل.

مدّ يديه بحركات رياضيّة .. واستنشق أنفاساً عميقة .. ثم ابتسم ابتسامة الرضا والحيوية .. قال في نفسه " سيأتي أبو عارف اليوم وسنرى ماذا يمكننا أن نفعل .. أشعر أننا سنقضي وقتاً طيباً ".

قام من سريره ببطء يفرضه عليه مرض مفاصله المزمن متناقضاً مع نشاطٍ يشعر بدبيبه يسري في جسده وإرادته في إعداد برنامج حافل بالفترات المنوعة ..

قام من سريره .. وأراد أن يتفقد حجرات منزله حجرة حجرة .. بسط الملاءة فوق السرير .. وعلّق ما تناثر من ثيابه داخل الخزانة أو على المشجب .. رتّب زجاجات العطر جميعها .. فارغها ومليئها .. وبالرغم من أن الفارغات منها لا تحوي غير

عبير الرائحة الساكنة في أعماقه مع الماضي والمشاعر .. إلا أنه مع ذلك رفع أغطيتها وتشمّمها، وتشمّم في كل عطرٍ ذكراه، فلكل ذكرى لديه عطرها المميز .. هذا عطره الذي اغتسل به يوم حفل التخرج من الجامعة .. وهذا عطر يوم خطوبته التي لم تدم غير أيام قليلة .. وهذا العطر الذي أهدته له " حنان، نصفه الضائع " .. وغيره .. وغيره .. ثم وبحركة لا شعورية امتدت يده برفق لتتسلم قطرات من عطر يوم الصالون الأدبي ..

غادر غرفة نومه مشحوناً بالأحاسيس المختلفة .. المتراكمة .. توجّه نحو غرفة الجلوس .. عدّل وضع الأرائك والطاولات الصغيرة .. مسح الغبار عن الأثاث .. رفع الستائر وفتح النوافذ والباب المؤدي إلى الشرفة، وراح يرشّ أوراق نباتاته المدللة بالماء وهو يدندن طرباً ..

قصد أخيراً غرفة الضيوف .. إنها الغرفة الكبيرة في المنزل وقد خصصها لاستقبال أفراد صالونه الأدبي الذي كان يرتاده كل شهر نخبة غير قليلة من الأصدقاء والمعارف ..

فتح بابها المغلق على الماضي .. وأشعل جميع أجهزة الإنارة فيها وفتح نوافذها على مصاريعها .. بدت الغرفة وهّاجة .. شديدة الإضاءة كأنها تضجّ بالحياة .. بدا له أنه يسمع أصوات الرجال وأحاديثهم وضحكاتهم .. بل وقرع فناجين القهوة مع أطباقها ..

بدا له أنه يسمع طرق الملاعق فوق صحون " الرز بالحليب " " طبقهم المفضّل " ..

مشى بخطوات وئيدة باتجاه ركنٍ في الغرفة تربض فيه باحترامٍ مسجّلةٌ قديمةٌ .. أدارها ليسمع موسيقاه الشاعرية الهادئة التي كانت ترافق جلساتهم الحميمة دائماً ... ضحك ... تذكّر الأخ عبد الجليل يقول له (يا أخي غيّر لنا هذه النغمة .. أمّا

عندك غيرها).تمتم قائلاً (رحمة الله عليك يا عبد الجليل .. كم كنت تحب الصخب ..

رحمة الله عليك يا ناجي أيضاً .. كنت دائماً تردّ عليه مازحاً " أتريدنا أن نسمع الفنون الشعبية والطرب .. عليك أن تتعلم الدبكة أولاً .. ولكن كيف ؟ .. وأنت لا تتحرك من فوق مقعدك حتى تغادر .. قم يا أخي ولن نأخذ مكانك " .. ... ضحك مرة أخرى .. امتزجت ضحكته بدمعة رقراقة .. نظر إلى الوجوه الحبيبة .. إنها ما تزال في داخله محفورة بملامحها الطيبة .. نظر إلى المقاعد الخالية من أصحابها .. كانوا خمسين شخصاً .. تتزاحم أكتافهم وقلوبهم في لقاءات الألفة والصداقة .. وتتلاقى أرواحهم وحواراتهم على مائدة المعرفة والأدب .. وتتمازج طباعهم وأحاسيسهم في بوتقة الرِقة والظُرف والدماثة ..

أكثرهم مرحاً " أبو مازن " .. شفاه الله وعافاه .. إنه الآن يرقد في المشفى بعد أن أجريت له عملية القلب المفتوح ... إلى

جواره " المتفلسف الكبير " هكذا كانوا يسمّونه .. رحمة الله عليه .. لقد مرت ذكراه السنوية السابعة منذ أيام .. وهنا .. هنا كان يجلس الرادار .. هذا لقبه الذي كان يحبه .. كان يلتقط دائماً آخر الأخبار ليذيعها بنشوةٍ وفخرٍ واعتداد ..

أعاد التفحص في الوجوه الغائبة الحبيبة ... حدّق فيها وجهاً وجهاً .. لا بعينيه .. بل بعيني قلبه الموجوع .. حدّق في المقاعد الخالية .. راح يقرأ تاريخها ويتلمس فوق سطوحها أشياء مسكونة بطيفٍ ما .. أو أثرٍ ما .. أو رائحةٍ ما.

واكتشف كنزه الصغير .. إنه يملك بصمات أصابعهم فوق مساندها .. وإنه يملك بعض التذكارات والهدايا .. وإنه يملك الكثير الكثير من الذكريات ..

لقد كانوا خمسين صديقاً .. ولكن أين هم الآن ..؟؟؟

تفقّد في ذاكرته أسماءهم .. أحوالهم .. وما آلوا إليه ... وأذهلته المفاجأة الحزينة .. لقد بقي منهم اثنا عشر صديقاً

على قيد الحياة .. وصار من يعرفهم من الأموات أضعاف من يعرفهم من الأحياء ..

لقد طوت الأيام المتوالية الباقين .. وسحبت السنين المتسارعة أجسادهم الفانية .. وإنه قطار الحياة العجيب .. لا يدري أحدنا في أي محطة سينزل .. ولا يدري أحد منا من سيكون دوره قبل غيره .. ومن الذي سيودِع .. ومن الذي سيودَع جلس في مقعده الخاص به .. واحتضن بيديه ورأسه عصاه الرفيقة .. وأطرق شارداً في لغزي الحياة والموت ..

طرق أبو عارف باب المنزل " ثلاث طرقات " كانت هي الإشارة المقترحة .. بمعنى آخر .. كلمة السر للدخول إلى الصالون الأدبي .. وتجاوب صدى الطرقات الثلاث في الوجدان المشتعل بالذكريات .. والمشحون بالتباريح ...

فتح الباب ... وارتمى بين ذراعي صديقه باكياً وهو يقول:" بقينا اثنا عشر فقط يا صاحبي ".

مصباح علاء الدين السحري

لم تكن عرّافة .. تقرأ لي طالعي بين أحجار الودع المتناثر .

لم تكن قارئة فنجان .. ترسم لي طرقاً التفافية مزروعة إما بوجوهٍ تضمر لي الشر وتحيك لي المؤامرات، وإما بإشارات لطيفة ذات عدد، تحمل في ثناياها الهدايا والمواعيد والحب الطازج.

لم تكن منجّمة .. تربط بين مدارات النجوم وبين مجموع أرقام حروف اسمي، لتتنبأ لي بيوم السعد .. وبلحظة الانتصار.

ولم يكن برنامجاً خاصاً على حاسوب خيال علمي .. يقدّم لي في صيغة شبه علمية، مقدّرات حياتي .. وإرهاصاتها المستقبلية ...

كانت وبكل بساطة ... حقيقة ملموسة .. هي أكثر قرباً مني والتصاقاً بي مما أتصور.

إنها نفسي التي بين جنبي ... آية كونية تدلّ على بديع صنع الله .. أغوص للكشف عن أسرارها فأجد في أعماقها من الدرر واللآلىء والعجائب ما تصغر أمامه عجائب البحار والمحيطات .. وأسافر للبحث عن سننها فأشهد من تنوع حالاتها ووفرة عناصرها ودقائق مكوناتها ما لا تقارن به حال آفاق الأرض من صحارى ممتدّة أو غابات مكتظة أو جبال شامخة.

وفي كهفٍ من أروع كهوف الذات وأجملها .. وجدته يقبع مهيباً يختزل لغز مارد المصباح السحري ...

قال لي عقلي الباطن:

ـ لبيك سيدتي .. خادم المصباح في خدمتك ينتظر الأوامر.

وشردت أفكر في أجمل ثلاث أمنيات .. لكنه اعترض شرودي قائلاً:

_ الطاقات عندي هائلة .. والوسائل وافرة .. والحلول كثيرة .. لاتعب .. لاكلل .. لاملل .. الحقيقة لدي كالخيال .. والمستحيل كالممكن .. خادمك المطيع ينفذ دون اعتراض.

سعدت بالكلمات التي سلطت الضوء على بعض جوانب نفسي، ورثيت لمحدودية مارد القصص الخيالية الذي يعجز عن الإتيان بأكثر من أمنيات ثلاث، يركن بعدها في قمقمه خامداً دون حراك أو نفع .. خائر القوى .. خاوي الوفاض ..

والتفتّ أبحث عن موارد قوة ماردي الحبيب .. فوجدت أن ثواني العمر ثانية ثانية ترفده بما تحمل من خبرات الحياة وتجاربها ومن حالات الشعور والتفكير والسلوك .. كما تمطره بوابل من المعلومات والمعارف والصور .. فما أغناني ! وما أغناه ! وقد تجاوز العمر المليارين من الثواني.

... وصحوت من تأملاتي على صوته يخامرني بهدوء وتحدٍّ:

_ فرضياتك مقبولة صواباً كانت أم خطأ .. وخيراً كانت أم شراً ... وموضوعيتك ومنطقيتك ليست من تخصصي.

.. لقد أُلقيت المسؤولية كاملة على عاتقي .. إذاً .. فلتكن اليقظة مدى محموماً أسافر بين أقطابه .. لأدرك الأسباب وأربطها بالنتائج .. ولأتحرى المنطقية والموضوعية في استيعاب مجريات الأمور .. ولأميز بين قوى الخير ودواعي الشر .. ولأضع في الميزان القيم والاعتبارات ..

لأنني في النهاية من سيقود .. من سيملي الأوامر .. ومن سيبرمج الحياة.

وبدأت رحلة الوعي بالحوادث والأشياء .. منفصلة كلّ على حدة ..

بدأ استخدام الحواس يتأطر تحت عنوان التركيز والرهافة .. حتى صارت حواسي تتوالد في ذاتها لتنجب مستوى عالي الأداء إلى حدّ التميّز والتفوق .. وتتزايد عدداً وعدّة وعتاداً لتمتلك المهارة الأفضل، ولتترك لي رصيداً لا يجارى من الخبرات التي تجعلني أنتقي رغباتي وأختار أهدافي.

احتضنت بأناملي مصباحي الخاص .. وقبل أن ألمس سطحه اللماع الساحر .. رحت أستحضر في ذهني أولوياتي ..

قال لي والابتسامة العريضة تعلو وجهه المشرق:

_ لبيك سيدتي .. خادمك المطيع بين يديك.

قلت له حالمة .. مغمضة العينين .. وقد ركزت تماماً على ذاتي:

_ أريد أن أكون.

أطلال مدينة

نظر إليها معجباً ...

حطّ أحمال يديه فوق صخرة قريبة تستند إلى جذع شجرة عريقة ..

ابتدرها بابتسامة يشع من بريقها ألق عاطفة آسرة .. وغرز في المساحات الخضراء التي تلوّن عينيها نظرة عاشقة .. وسألها بحياء خاطبٍ يقدّم مفتاح مدائنه النائمة إلى محبوبته:

ـ هل تقبلينني ز .. ...؟

لم تسمع بقية الكلمة .. ..

خفضت عينيها بعد أن كانت تتعلق بوجهه كغريق أدرك طوق النجاة قبل أن تخور قواه .. وهمست:

ـ هل أنت قادر على إنقاذي من الـ .. ...؟

لم يسمع بقية العبارة ..

كان الحوار ناقصاً مبتوراً ... لكن نوازع التملك تحركت في داخله .. ما أجمل أن يمتلك الإنسان مدينة بأكملها .. وراوده حلم الثراء والغنى .. تخيّل نفسه ملكاً متوجا ًتنحني له الرؤوس والهامات .. ويلفّه هتاف رعاياه وتصفيق أكفّهم المبتهجة .. راح يرسم بأنامله الحالمة غنائم النصر، ويكدسها في خزائن وهمية .. راح يوسّع على خريطة الزمن حدود مملكته ..

.. ...آثرت ألا تتكلم ...

أشارت بيدٍ صامتة إلى نفسها ...

هذه آثار الزلازل .. ضربات متلاحقة .. وفي كل مرة يتهدّم بعضها .. الناجون يرحلون .. ولم يبق أحد .. صارت خاوية موحشة .. وظلت وحيدة .. وحيدة ..

غابت في صمتها متسائلة ..

أتراه لا يدرك أنها تخلو من الحياة ..؟ أتراه لا يعلم أن شراييينها فقدت اللون الأحمر .. وأن ناعورتها توقّفت عن الدوران ..؟ أتراه لا يرى الأطلال في كل مكان ...؟؟؟

قررت عدم الهروب من المواجهة ..

أعادت تفعيل الحوار لاستكمال نقصه ..

سألته بجديّة حقيقية:_ هل تريد أن تكون .. زائراً .. فحسب .. أم أنك قادر على إنقاذي من الفناء ..؟

قال وقد أدرك أن المحاولة ممكنة من جديد:_ ليس الزلزال نهاية العالم .. صدّقيني.

أيهما أقوى

تدافعت علياء ورفيقاتها وهن ينظرن إلى قوائم الناجحين في الشهادة الثانوية ..وقد تلبسهن القلق والخوف وأضناهن الترقب والانتظار للنتيجة.

صاحت صديقتها بفرح شديد:

_ علياء .. هذه أسماؤنا .. انظري هنا .. ... مبروك.

_ ولك ألف ألف مبروك.

وتعانقتا طربا وسرورا .. ..

_ أرأيت .. بيني وبينك علامتان فقط .. الحمد لله.

_ الحمد لله ..جهودنا ودراستنا تكللت بالنجاح ... وإن شاء الله سندخل فرعاً جامعياً واحداً.

_ نعم .. وسنظلّ صديقتين إلى الأبد .. إن شاء الله.

_ حقاً إن فرحة النجاح لا تعادلها فرحة ..

_ كم أنا سعيدة .. ومبتهجة .. وفخورة.

ـ هيا يا علياء .. هيا إلى الأهل والأقارب .. فالجميع بانتظارنا ..

وبدأتا مسير العودة إلى المنزل وهما تتبادلان ذكريات العام السعيدة .. والمفارقات الحلوة مع المعلمات والرفيقات .. تطير بهما أحلام العمر الغضة نحو آفاق مستقبل يرسمه الخيال زاهياً زاهراً.

قالت علياء أثناء الطريق:

ـ دعينا نمر على مدرسة الأحرار .. أريد معرفة نتيجة أختي سلمى.

مرت علياء بإصبعها فوق الأسماء المعلقة بحذر شديد .. بدأ قلبها يضطرب في صدرها الحنون .. وعلت وجهها مسحة من شحوبٍ .. لم تجد اسم أختها ..

أعادت تفقّد الأسماء بصبرٍ وأناةٍ:

ـ لا .. ليس ثانية .. آه ما أقسى هذا ..

تجمدت ملامحها .. وانحدرت من عينيها دمعتين باردتين ..انطفأ فرحها المشتعل .. ونسيت نجاحها الجميل .. أما صديقتها الحميمة فقد باءت بصمتٍ فاشلٍ ..لم تستطع اختراق جدرانه لمواساة أعز صديقاتها ..

مشت إلى جوارها وجعلت ذراعها الحائرة تلتف بالذراع المرتبكة .. لملمت شجاعة كلماتها لتقول:

_ حسبنا الله ونعم الوكيل .. دائماً لابد من مفاجآت في الشهادات.

_ ولكنها تعبت وسهرت واجتهدت .. مسكينة أختي.

_ مسكينة فعلا ..لقد ضاع عام آخر من حياتها.

_ كم ستكون صدمتها كبيرة عندما تعرف .. أنا لا أريد أن أكون أول من يخبرها .. لا لن أعود للمنزل الآن .. لم تعد لي رغبة بالعودة إلى المنزل الآن.

_ ولكن ... أهلك بانتظار نتيجتك أيضا .. وهي ستفرحهم بلا شك.

_ تفرحهم ؟؟!! كما فرحت بها أنا ؟؟!!.

وابتلعت غصة كبيرة ..

غالبت دموعاً تريد أن تنفجر كالبركان من قلبها وعينيها .. صمتت قليلاً ثم قالت:

_ أيهما أقوى ؟؟ .. .. أيهما أقوى في نظرك إن اجتمعا .. الفرح أم الحزن ؟؟؟ أيهما أقوى ؟؟

وبحرص الصديقة الشفيقة تجاهلت السؤال الممعن في اجترار الألم وقالت لعلياء وهي تحاول رفع معنوياتها:

_ عندي لك اقتراح .. ما رأيك أن إلى نذهب إلى بيتي .. وبعد أن تخبري أمك بالهاتف عن نتيجتينا أنت وأنا، تبادر أمي لتهنئتها بنجاحك ونؤجل قدر الإمكان عودتك للمنزل.

ومرت اللحظات التي تسبق عودة علياء إلى بيتها مروراً بطيئاً ثقيلاً .. أما هي فقد كانت تمشي مثقلة وقد تقاذفتها المشاعر المتباينة من أقصى الفرح .. إلى أقصى الحزن .. تقاذفاً مؤلماً مؤذياً، مما أخلى ساحتها الشعورية وأوقعها في براثن اللاانفعال.

طرقت الباب في وهن ..

نظرت في عيون من فتح الباب لتستقرىء أخبار الداخل .. ولم تكن بحاجة إلى كثير ذكاء .. أدركت ببداهة الأطفال أن ثمة إعصار كان يجتاح عائلتها.

ولم تكن اللحظات الأولى هذه أسوأ من الأيام الثلاثة التي تلتها .. فقد قرأت الحيرة والارتباك في عيون كل من حولها أيتقدمون لها بالتهاني والمباركات أم يعلنون الأسف والأسى على سوء حظ أختها ؟؟

أيباركون لها بالخفاء خشية جرح مشاعر الأخت ..أم يتجاهلون نجاحها المتفوق مكتفين بما ضمنه لها من طريق للمستقبل ؟؟

أيحتفلون ابتهاجاً ويستقبلون المهنئين أم يلتزمون الصمت ويمعنون في الانسحاب إلى السكون ؟؟.

كان نجاح علياء بالنسبة إليها حلماً تكدّست فيه ثواني العمر مترعة بالكفاح، طافحة بالطموح ..

حلماً توسّلتْ في حروفه عذابات أيام الاجتهاد، وتبتّلتْ في خشوعه صلوات الأماني البريئة ..

حلماً تأوّل في وجوده معنى الحياة الأسمى.

ومع ساعات الدراسة والجهد راح الحلم يتدفق في عناق الشمس والمطر قوس قزح جميلاً آسراً .. وأخذت ذراته الملونة تصطف رتلاً من الآفاق الطيبة، فتستغرق الأبصار والقلوب التي في الصدور ..

كان نجاحها حلماً يسافر في فضاء نفسها كغيمة تمنت أن تكون هي أرضها العطشى .. حتى دب دبيب الشر وتكالبت هواجس الحزن تكالب الوحوش على فريستها، وغدا الحلم كابوساً فظيعاً تحتشد جحافله على أطراف الروح لتعانق المرارة.

في صبيحة اليوم الرابع ...

دخل والد سلمى إلى المنزل وفي يديه بشرى نجاحها المسلوب .. كان ثمة خطأ في جمع علاماتها وقد قامت لجنة الامتحانات بمراجعة وتدقيق أوراقها.

سرت الفرحة في أرجاء العائلة كما يسري الماء في العود اليابس، ليحيل جفافه نضارةً وشقوقه براعماً

راح الجميع يعانق سلمى ...

سلمى التي كانت قبل قليل تمضغ فاجعة رسوبها .. ثم تحولت إلى المتألقة الناجحة التي راحت تتلقى وابل القبلات الفرحة المنهمرة من كل حدب وصوب.

فرحت علياء بنجاح أختها فرحاً خرافياً ..

ضمّتها إلى صدرها المشحون بشحنات عالية من السعادة والطرب والحبور ..

لقد شعرت بأنها نجحت من جديد ...

وبدأت الاتصالات الهاتفية المهنئة تترى دون انقطاع ..

وصار اسم سلمى يرن في أجواء المنزل مقترناً بالضحكات والزغاريد والتهنئات .. وصار انقلاب مأساتها إلى فرحة غامرة حديث الساعة.

لمست علياء تجاهلا غير مقصود لمشاعرها ..

بدأت تشعر بالوحدة والضعف أمام طوفان الاهتمام بالنجاح المولود من العدم ..

انكفأت إلى ذاتها ...

بكت في داخلها فرحها المبتور، الذي يبحث عن اليد الحانية التي تلمس الجراح فترفق بها ... وتداويها ...

أحست أنها انكسرت مرتين ...

وبكت فوق وسادتها مرتين ...

مرة بكاء الانتصار المنكسر .. ... ومرة بكاء الانكسار تحت قوس الانتصار.

أوراقٌ مريضة

* الورقة الأولى

أمسك بالقلم طويلاً .. دون حراك

تأمل كل ما حوله .. وتأرجح مع أفكار متباينة غير محددة.

شعر بالرغبة في الكتابة .. إلا أن الكلمات تترنح فاقدة الاتزان، وتتساقط من ذاكرته قبل أن ينتظمها نسق سليم أو يحتويها منطق معقول.

فقد الاتجاه الصحيح في التفكير .. ثم في التعبير .. ورزح تحت وطأة الاضطراب التي تعاني منها حياته موقناً من عدم جدوى تساؤلاته ومن عبثيتها.

تساءل .. أين هو الآن ؟ .. وعلى أي أرض تقف قدماه؟؟

إنه يفتقد الإحساس بصلابتها ..مما يجعله فاقداً للأمان والتوازن ..بل وتجعله رخاوتها لاهثاً وراء البحث عن ثوابت يُفترض بها ألا تكون وهمية ..

وهكذا وقع فريسة الخوف من أشياء كثيرة ..

يصطاده الوهم والشك ..

وتطول حيرته بين البدائل ..

لقد اعتاد التخلي عن كل أحلامه .. ببساطة مبررة ومرعبة حتى إن الإقدام على ما يرغب بتحقيقه .. يصير ضرباً من المغامرة.

تساءل ماذا يفعل ؟

وهو يجد نفسه غير ذات حدود .. تجترىء عليه مواقف الآخرين سلبية كانت أم إيجابية .. لتضيع عليه فرصة أن يفعل ما يريد .. أو أن يكون من يريد ..

ماذا يفعل ؟؟؟

وهو يرى نفسه غير ذات قرار ..

تفكك الفوضى والارتجالية والسعي وراء الواجبات كل ما تبقى لديه من جلد لمعاناة الحياة ..

بغير نظام ... وغير رسالة .. وغير اتجاه ..

تتقاذف أيام حاضره المعطلة البقايا من الأحلام .. لترمي بها إلى ماضٍ ضائع، لا يملك عليه سلطة أو حيازة .. وليظلّ الغد رحلة بغير دليل، وأمنيات تكاد تفقد معناها، وانتظاراً باهتاً لا يثمر شيئاً.

* الورقة الثانية

من الشوق الدائم .. إلى اللاشوق ..

ومن الحب الفياض .. إلى اللاحب ..

آيات شتى من التناقض والتغير .. كينونة غريبة تفرض ذاتها وتمارس طقوسها ..

نعم .. فالشوق الذي كان صارخاً إلى كل لون من ألوان الحياة بات منتحراً عند كل منعطف وزاوية.

والحب الذي كان متوهجاً في كل نبض من نبضات الوجود بات مفقوداً في كل موقف ومعنى.

لم تعد هناك لهفة ..

كان يطرب لصوت المطر .. لوميض البرق .. لعبير الزهر .. لتمايل الأغصان .. لخرير الماء. لتلاوين الأصيل ..

كان يثمل براح الجمال أينما كان .. وبرحمة القبح حيثما وجد ..

كان يتفتح كبرعم جميل كل صباح .. وكشمسٍ جديدة كل يوم ..

كان يتلوّن كقوس قزح .. ويغنى كأسرار الطبيعة ..

كان يحمل في جوانحه من خلجات العشق والوجد والصبابة ما تنوء به سجلات حكايات العاشقين ..

كان يتدفق حبّاً وطهراً كشلال غزير ..

كان يفيض سماحة وحلماً كأول خيوط الشمس عند بزوغها ..

كان شفافاً كضوء القمر .. رقيقاً كنسمة الربيع .. نقياً كثلوج القمم والأعالي ..

وكان ...وكان ...

والآن ينقلب كل هذا فجأة .. ليصير إلى النقيض .. إلى التضاد.

* الورقة الثالثة

ببرودٍ .. وبحيادٍ فظيع ..

يتعامل مع الكلمات التي فقدت معناها في الحوارات المفتعلة وفي المجاملات التي تلبس زي الحقيقة المفترضة.

بريبٍ واضحٍ ..

يستقبل ادعاءات اللسان الواقف في مساحة الخيط الرفيع بين الكذب والصدق ...

ولا فرق .. فالضباب أولاً وأخيراً يلغي حدود الأشياء .. ويعطل صراحة الرؤية .. ويترك دائماً المزيد و المزيد من الأشياء المهملة والملامح المفقودة.

* الورقة الرابعة

إنها ساعة الغضب ..

تنطق دائماً بالحقيقة .. دون تزييف ..

وتظهر الوجوه دون أقنعة ..

تصرّح وتعلن الخفايا .. وتفضح وتكشف الخبايا ..

في الحالة العادية كلنا ينافق .. يداهن ..

يخفي القبيح ويظهر الحسن .. رياءً أو مجاملةً .. ...

وفي أحسن الأحوال .. نوعاً من التحلي ..

أما ساعة الغضب ..

فإنها دائماً وأبداً .. تقول الحقيقة.

* الورقة الخامسة

يشعر بالحاجة الماسة إلى رفقة القرطاس .. إلى الكلمات التي تدقق في وصف الشعور .. فلا تبالغ أو تهوّل .. ولا تبخس أو تنتقص ..

يشعر بالحاجة إلى الكلمة التي تعبّر بصدقٍ عن عمق الإحساس ..

إنها حالة من الجدب العاطفي ..

أفرزتها المواقف الأليمة بات فيها يفتقر إلى كثير من الحنان تجاه كل ما حوله ..

لقد كانت لحظة إعلان الإفلاس في ذات يوم حافزا إلى استجماع القوى الطيبة والعناصر الشفافة، لمعاودة المسير ضد الفقر المفاجىء والإحباط المر ..

إلا أن المعارك الأخيرة لم تكن أحسن حالا من سابقاتها ..

وما الهزيمة والانكسار .. أو الفقد والتشوه .. أو الخسارات المتنوعة القاتلة .. إلا من نتائج الحرب غير المتكافئة دائما ..

أخيرا لاذ بالفرار ..

لاذ بالفرار وهو يحمل راية ممزقة ..

تخفق في شجن وأسى حين تمرّ بها ريح مائتة بائسة، لتعلن الخواء والتشرد فوق أرصفة الفراغ ..

لقد فقد التوقد المشاعري ..

وانطفأت أغلب الشموع واختفى القمر من الليالي الطويلة

لقد هدأ الشوق هدوءاً فظيعا ..

وانقلب الكائن الإنساني في خلاياه إلى كائن آلي بارد .. في صدره قطعة معدن، تقتات النفط، لتعمل في رتابة ..

وفي هذا الصقيع الموحش ..

يقاوم القلب وحده .. ينبض ببطء وصبر .. وأردية الضعف تلتف به لتزيد عجزه .. ولتخنق مبادراته .. وكأنه يحاول أن يظل الحي الوحيد في عالم ميت .. أو أن يظل الفارس الأخير في معركة البقاء .. يتساءل .. ويتواثب .. ويحلق بأجنحة واهنة في فضاء لزج ..

يعاود الرحيل إلى مواقع المعركة ليبحث عن دليل يدين طيوف الشر ..

إلا أنه يدور بعجز في حلقة مفرغة فلا يقدم ولا يؤخر ..

ولا يمنح في استرسالاته غير تفريغ لشحنات مؤقتة مكرورة .. قد غدت مملة .. مملة جداً.

* الورقة السادسة

أصبح جباناً ...يخشى اقتحام المجهول ثانية ..

أصبح أنانياً .. فَقَدَ الحماس للتضحية بأدنى حق من حقوقه وأبسطها .. فقد الثقة بما يعد به خير الزمان .. فقد الأمان مما قد يغتال هناءه وينغص عيشه .. وبعد كل هذه المشاعر السلبية كيف يقبل المساومة على ما في يده مقابل ما يأتي به الغد ..كيف يعاود الإبحار في خضم قد ابتلع كل ما جنى وما كسب من ثمرات الجهد والمثابرة وتركه أعزل خاسراً ... إنه ليس سندباداً خيالياً يغامر في برّ وبحر الأمنيات .. لقد تحطمت سفينته وتشردت قافلته ولم يعد يملك إلا بقايا واحة ونخلة.

* الورقة السابعة

انطفأت جميع نيران الخلايا والحواس ..

غدا الجسد بارداً لا حياة فيه .. لقد انطفأت جميع النيران وتجمدت الدماء .. حتى الأحزان تخلت عن هويتها وصارت كأشباح لا شكل لها ..تعطلت البوصلة .. وتلاشى حسها السليم .. فقدت الاتجاه وصار المسير خبط عشواء، لا تهديه

عاطفة نبيلة ولا إدراك مستنير، توقفت أجهزة الدفع وماتت الدوافع ..

هربت من العيون أحلام العمر وضاعت على أرصفة الانتظار .. توزعت النفس عند منابت الشك والخوف وفقدان الثقة صار بحاجة إلى هزةٍ أرضيةٍ تقلب كيانه الجامد وتطويه في باطن الأرض علّ وجه الأرض الجديد ينبت برعماً جديداً.

النداء

حين اقترب منها عابر السبيل .. تظاهرت الواحة الصغيرة باللامبالاة ...

تظاهرت بعدم الاكتراث ..

أقنعت نفسها .. أو ربما حاولت أن تقنعه أنه لن يكون بالنسبة إليها أكثر من عابر سبيل ..

كغيره مرّ بها .. كغيره مر بالواحة البكماء .. فلا هي تملك له أسباب البقاء .. ولا هي تنطق كي تستبقيه.

فمها المغلق الذي اعتاد الصمت راح يتمدد باحثاً عن ابتسامةٍ .. ولكنه ظلّ مغلقاً يحتجز دونه سرّ البوح العاجز.

توسّلت عيناها ..:

– لماذا يغمض الناس أعينهم حين يشربون ؟؟؟ .. أبحثاً عن مزيد من الارتواء ... أم تشبعاً واكتفاء ؟؟؟

لم يفهم أحد توسلات عينيها ...

وانقلب التوسل إلى نداء .. .. إلى صرخة موجوعة:

– أرجوك ... أرجوك قبل أن ترحل .. ازرع مدينة في قلبي .. اتخذ كوخاً .. .. أو قصراً .. .. افعل شيئاً ... أي شيء كي يستوطنني الشمل الحقيقي واللمة الحلوة.

بقعة حبر
على ثوب الزفاف الأبيض

في جلسة جد شاعرية ..

أو هكذا بدأت ..

راح العروسان يتأملان صور حفل الزفاف البهيج. ويتبادلان التعليقات المرحة التي تقطر حلاوة في أوائل أيام شهر العسل .. وجاءت تلك الصورة ...

الصورة التي تضم العروسين متجاورين .. يدها ذات الكفّ الأبيض المقصّب تلف خصره .. ويده السمراء القوية تلف خصرها .. وثوب الزفاف رائع الجمال يزيد بأكمله تألق اللقطة الفنية .. ..

سألها العريس جاداً وقد قطب حاجبيه:

– ما هذه النقطة السوداء الصغيرة ... هنا على طرف ثوبك ؟؟؟

استلّ السؤال عفوية وتلقائية المرح والبهجة ...

نظرت العروس بتعمقٍ في الصورة ...

ثم نظرت إليه باستغرابٍ .. ودهشةٍ .. وتوجّس .. ..

وما زالت بعد ثلاث وعشرين سنة مرت على زواجها تنظر إليه هكذا كلما سألها جاداً والغضب يفترس سعادتهما:

– ما سرّ هذه البقعة السوداء ؟.

الزنزانة والحصان

تكاد تكون زنزانة إفرادية .. أو ربما أوسع قليلا .. ولكنها مساحة من الكون تحتجزها قضبان كثيرة قاتمة ... تدور القضبان في سكتها المغلقة لتعلن عن لا إمكانية الدخول أو الخروج من هذا السجن المتحرك ..

ويظلّ هذا المخلوق الحر الجموح .. يصهل أمامها كثيرا .. يدفعها بقوائمه أحيانا وبرأسه أحيانا أخرى فيدمى وتسيل دماؤه الزكية فوق أخاديد دموعه ..

وكلما أشرقت شمس جديدة رنا ببصره الشامخ الأبي واشرأب عنقه ذو الكبرياء إلى حقول الربيع الندية .. والسهول الخضراء المترامية وطقطقت حوافره شوقاً إلى الهضاب وسفوح الجبال المكللة بالألوان ...

ويظلّ ... يظلّ يصهل غاضباً .. جامحاً .. خائفاً ..

والشمس تغيب في كل يوم .. لتعاود الشروق في يومٍ جديدٍ آخر.

الوجه الآخر للقمر

وكأنني كائن غريب ...

كائن يقطن في الجانب الآخر من هذا الكون ..

أنظرُ إلى القمر فلا أرى إلا وجهه المظلم ..

ولأنني أحبه .. ومن أجل أن يطل علي بنوره الحبيب .. هبطت إلى الأرض .. ووقفت بين الناس.

نظرت إليه معهم .. لكنه ظلّ مصرّاً على ألا يريني إلا وجهه الآخر .. استغربت .. تساءلت .. لجأت إلى عرّاف .. تفرّس في وجهي ونظر إلى خطوط كفي .. ثم رفع كتفيه .. وابتسم ولم يجب .. لجأت إلى محاجر العيون .. العيون التي تتطلع إليه وتهيم به .. لعلي أقتبس سر تألقه الساحر الذي تكتحل به فتزداد سحراً ورقّة وعذوبة .. لكنها تجاهلتني .. وعادت تنظر إليه ..

لجأت إلى عالِم ... شرح لي كيف أن الأرض تقابل الوجه ذاته في عناق أبدي حميم ..

تحينت كل الفرص ... تتبعت دورته ... ومنازله .. وقفت بين الناس .. أردت أن يراني .. تأملته كثيرا .. وانتظرته كثيراً ..

شاغبت أمامه كطفلٍ ... يريد أن يلفت الانتباه .. اختلست النظر إليه .. هل يراني ؟؟؟؟ وجدته يبتسم لغيري.

تزينت له كفتاةٍ ... تريد أن تخطب الود .. نظرت إليه بطرف عيني .. هل يراني ؟؟؟؟ وجدته يعجب بغيري.

تلفّحت بدثار الحكمة والوقار كعجوزٍ راشد ... اعترضت طريقه .. هل يراني ؟؟؟؟ وجدته يقبل على غيري.

تناسيت وسائلي العاجزة .. وتجاوزت إخفاقاتي المتكررة .. وأحببته .. أحببته هلالاً .. وأنست به بدراً .. منحت له قلبي .. بسطت له يدي .. أقبلت عليه واهتممت به .. أحببته ولم أقلها ... احتفظت بها بين شفتي .. خفت أن يقولها لساني فترتمي على الأرض جريحة دامية .. .. .. ابتسمت له ...

وحرصت على ألا يؤدي ابتسامي بها إلى السقوط.

عسل الصبار

عادت الزوارق بأصحابها قبيل الغروب .. بعد رحلة الصيد اليومية .. وإلى الشاطىء هرولت نساء البحارة .. يرمقن العائدين .. وفي قلب كلّ منهن حبٌّ وفرح وانتظار

قالت له وقد أقبلت تشاطره في حمل سلال السمك إلى المنزل:

– الحمد لله على السلامة .. سلمت يداك يا عمري.

ومرت يدفئها الصادق الحنون قريباً من شجرة الصبار دون أن تدري:

– آآخ ...

– ما بك ؟؟ .. سألها على الفور بلهفة حقيقية.

أجابته متألمة متأوهة:

– لقد انغرست شوكة في رجلي .. هذه الصبارة المشؤومة .. لم لا تقتلعها ؟

– سأقتلع الشوكة حالاً يا حبيبتي .. لا تبتئسي ..

وأحاط خصرها بذراعه القوية ليعين خطوتها المتألمة ..

همس في أذنها القريبة:

– أحبك يا رفيقة العمر .. أحبك.

وفي المساء .. ..

وفي سهرة حالمة .. رفع إلى فمها لقمة صغيرة .. وقال في حبٍّ:

– تذوقي ما أطيب عسل تين الصبار !.

الرجل الآلي

في عالمٍ افتراضي يغصّ بالرجال الآليين .. تجولتْ ببطءٍ وهي تمعن النظر في النشرات المرفقة المعلقة في رقبة كل واحد منهم ..

قرأتْ السطور القلائل التي تذكر الاسم .. المواصفات .. الميزات .. المؤهلات التقنية والعلمية .. السعر .. وطريقة الاستخدام والتشغيل.

توقفت أمام **جوجل** .. قرأت كل المعلومات التفصيلية عنه، دارت حوله ثم قالت في نفسها (يبدو لي أن هذا هو طلبي) تلفتت تبحث عن المسؤول عن البيع في هذا المكان ..

كان البائع أكرش يتكور على كرسيه خلف طاولة صغيرة، تمسك إحدى يديه جوالاً فاخراً، بينما تتلمس الأخرى أزرار آلة حاسبة .. وليس لديه يد ثالثة للمصافحة أو اللقاء أو التلويح ..

كان يعيش كغيره من بني البشر في غابات الأجهزة الالكترونية .. تصحبه الإنترنت إلى آفاقها الممتدة على أجنحة العلم أو المتعة أو العمل .. ويأسره الصحن الفضائي بقنواته اللانهائية .. ويرافقه الهاتف المحمول حتى إلى سريره ليقبع على مقربة منه كالحارس الأمين .. فإذا أراد التنقل أو التنزه فقد يتربع فوق رأسه وأذنيه جهازٌ متحدثٌ يعزله عن الآخرين، متحكماً بمسامعه ووعيه .. وتتنامى مفرادت اللغة الالكترونية لتصير كالمأساة ..تطل برأسها حرباء متلوّنة .. وتنشب أظافرها في وجه التواصل البشري المفقود .. ويجيء الإنسان الآلي من الغرب أو من الشرق .. لا فرق .. ليحلّ ببرمجته العالية الأداء محلّ إنساننا الحي، بقيمه الأصيلة، وتكوينه الفطري، ومشاعره الحقيقية.

أفاقت من شرودها الحزين هذا على صوت البائع الأجش:

– إن الشركة الصانعة تمنح الزبون / ساعة حرة / يصطحب فيها المنتج بالطريقة التي يراها مناسبة له قبل اقتنائه.

أجابت باستياء:

– **جوجل** ؟؟!! .. هل يمكنني تغيير هذا الاسم الأجنبي الغريب، وإدراج اسم عربي محبب ؟

– فور شرائه سيدتي .. ندخل بيانات الاسم الجديد.

علّقت على شكله ومظهره:

_ ليته صنع من اللدائن .. إنها أكثر دفئاً من المعادن.

هزّ البائع كتفيه دون اكتراث بما تقول .. وقدّم لها أوراق التوثيقات المطلوبة للاستلام .. وبعد التوقيع ودفع مبلغ التأمين .. ضغط البائع زر التشغيل قائلاً:

– جوجل .. رافق السيدة إلى حيث تريد .. وامنحها فرصة التعرف عليك كما ينبغي.

أومى الرجل الآلي برأسه موافقاً .. إيماءة تدل على كمٍّ كبيرٍ من الاحترام.

تسلّمتْه .. خطت خطواتها الأولى معه، ولكنها لم تجرؤ على لمسه دون حاجز، ومن أقرب محلٍ تجاريٍ اشترت شالاً عجمياً

كالذي يضعه الرجال البشريون على أكتافهم .. وكأنها أرادت أن تستشعر الدفء في ألوانه النارية.

وضعته على كتفي الرجل الآلي باعتناء وأناقة .. وسقطتْ كلمة " شكراً " التي قالها بعفوية وتلقائية على أرض نفسها القاحلة سقوط قطرة ندى .. فارتشفتها .. ولم ترد بالكلمة المعهودة للجواب " عفواً " ..

أخفض جوجل رأسه متسائلاً:

_ لا جواب ؟!!!

نظرت إليه بصمتٍ حائرٍ .. سارت إلى جواره صامتة .. ذاهلة .. متفكرة .. مرّت أمام جدارٍ رُصفتْ فوقه صورٌ كثيرةٌ (إعلاميات محترفات .. فنانات .. شخصيات سياسيات معروفات .. وغيرهن من صانعات المجد والتاريخ والشهرة ..) قال دون تردد:

_ نساء .. نساء .. نساء ..

وقبل أن يقرأ الصورة الأخيرة .. قال فجأة:

_ سمراء.

سألته على الفور:

- إذاً أنت تدرك الفرق.؟.

أشاح بوجهه، وصمت.

كانت تريد أن تفتعل حواراً .. أن تبني ألفة .. أن تغوص في أعماقه .. أن تستشف غوره .. نظرت إلى عينيه تبحث عن لمعة الذكاء - ولو كان اصطناعياً - أسدل جفنين معدنيين ليحجب عن عدساته الحساسة شحناتٍ غريبةً كادت أن تخترقها ... لم تفهم السبب ..قالت بلامبالاة:

- حتى لو فتحتَ عينيكَ .. فإنك لن تُعجب بالجمال.

وبلهجةٍ حياديةٍ باردة .. ردّد قائلاً:

- أُعجبُ .. أُحبُّ .. أُ ..

وقبل أن ينطق لفظته الثالثة .. صاحت بنزق:

- كفى .. أعرف أنك تمتلك برنامجاً يغطي كل المفردات الشعورية واللاشعورية.

تأملت ملامحه الجامدة ثم ابتسمت وقالت:

– لقد قاطعتكَ .. أنا أعتذر .. هل أغضبتك ؟؟

أجاب الآلي بهدوءٍ ينمّ عن حلمٍ حقيقيٍ – ربما – :

– لدي مساحة من الغفران تتسع لكل الأخطاء ..فلا تبالي.

وبسخريةٍ تمثيليةٍ أجابته:

_ كم أنت نبيل ؟؟

قال متجاوزاً سخريتها:

_ النبل وجه آخر للحبّ.

سألته باهتمام:

_ هل يمكن أن تحبني يوماً ؟

رفع يداً مفصليةً متحركةً إلى شاشةٍ صغيرةٍ تتوسط جبهته وقال جادّاً:

– اكتبي اسمك في مقام البصير ة هنا، كي أُ .. ..

قاطعته بتعجل:

– حين أدفع ثمنك وأسدّد رسومك كاملة .. سأفعل.

– حين تفعلين .. أقصد حين تكتبين اسمك في بصيرتي سـ .. ..

قاطعته من جديد .. ابتسمت وقالت بحزنٍ ومرارة:

– سيتغير وجه العالم .. ولن أظلّ وحيدة.

لحظة مواجهة

تغلغلت أشعة الشمس الصباحية عبر ستائر النافذة، فتحت سلام عينيها ببطء ... تمطت ..

وبحزن ... وبأسى ... مدت يدها تتحسس الوسادة الخالية .. وبصمت .. وبغزارة انحدرت دموعها تحمل من الفؤاد الكثير من الألم والمعاناة ..

" أين أنت يا زوجي الحبيب ؟؟" .. ..

آه ما أقسى الأقدار ...

إنه يبيت ليلته عند الزوجة الأخرى ... وهي ... هي تعيش مع نصف رجل .. أو ربما أقل .. هي لا تدري النسبة بالتحديد .. فلعلها بقايا رجل .. المهم ..

إنها تعيش ملحمة انتظار طويلة .. يسلمها فيها الليل إلى النهار لتعاود الروح مسيرتها في هاجرة الصبر .. ثم يسلمها النهار إلى الليل لتؤرق العين ظلمته وبرودته ..

وتمر الليالي ... باردة نصفها .. فارغة نصفها ... قاتلة نصفها ...

ولكنها الأيام تمضي ..

وهاهو يوم جديد آتٍ ..

ها هو يوم جديد آت .. ولابد لها من أن تبدأ نهارها الآن.

رفعت غطاءها ونهضت ..

لا فائدة من الجلوس مع دوامة الأفكار المزعجة ..

لا جدوى من اجترار الحزن والإمعان في التفاصيل المؤلمة .. لا يغير البكاء على العمر المنهوب شيئا من النتيجة الخاسرة ..لابد من أن تبدأ نهارها البارد هذا دائما من جديد ..

رتبت منزلها بسرعة غير اعتيادية .. وجهزت طعامهما بنشاط ملحوظ .. ثم عزمت على الخروج إلى الحديقة المجاورة لتروح عن نفسها قليلا ولتملأ رئتيها بالهواء النقي المنعش ..

هناك وتحت شجرة كثيفة الأوراق وعلى مقعد خشبي عتيق .. جلست ترقب البطات البيضاء التي تعوم في البركة ..

متنقلة بنظرها من الأزهار الجميلة إلى المياه المتراقصة إلى ملاعب الأطفال التي تغص بهم وبصخبهم المتواصل.

لم تطل وحدتها كثيراً .. فقد قطع استرسال شرودها تحية .. فسؤال ..

– السلام عليك يا أختاه .. هل تسمحين لي برفقتك بعض الوقت ؟

نظرت سلام إلى السائلة .. كانت امرأة مقعدة تتخذ كرسياً متحركاً ذا عجلات، يشع في وجهها إشراق ناعم ويكسو ملامحها بشرٌ وبراءة ..

ردت على الفور. وكأنها تغيث ملهوفا:

– على الرحب والسعة .. أهلاً بك.

– لقد تنقلت في أرجاء الحديقة لفترةٍ طويلةٍ وعندما أردت الاستراحة قليلاً التقيتك واستأنست بوجودك.

. أهلاً بك ..أنا أيضاً وحيدة كما ترين .. لقد شعرت بالضجر والضيق فأتيت إلى هنا .. منزلي قريب ولكنني أحسست بأن جدرانه تضغط على صدري وتخنقني ..

صمتت سلام فجأة وقد اعتراها الخجل من نفسها وراودتها خواطر سريعة ...

(جدران المنزل تخنقك ..؟؟ تسجنك ..؟ هل ضقت بها ..؟ فما بال المرأة التي أمامك يحتجزها كرسي متحرك، تجلس عليه برجل واحدة ..؟)

رفعت إلى وجه المرأة الغريبة عينين يقطر منهما حياء واستدراك ... وكأنها أرادت تغيير مسار تفكيرها الذي يدور حول مأساتها فقط.

وبلهجة مختلفة سألتها:

. هل تقطنين قريباً من هنا ؟

وبذكاء من يقرأ عيون الآخرين ويفهم من خلال تحركاتها ما يدور في رؤوسهم .. أدركت الغريبة أن اختلاف نبرة الحديث

من الشكوى والتذمر إلى المؤانسة والتظرف قد أخفى في طياته نوعا من الشفقة على وضعها الخاص .. عندها ملأها التحدي وأرادت أن تثبت لها أن الإعاقة لا تكون خارجية أبداً ... لا تكون في أجسادنا أبداً مهما اعتراها النقص أو المرض .. وإنما هي داخلنا .. في نفوسنا .. نحملها معنا في الحلّ والترحال ..

وبابتسامة دافئة قوية أجابت:

. نعم أسكن في الطابق الأرضي من ذلك المبنى عند زاوية الشارع .. ولقد تعبت من كثرة التحديق في الحاسوب والأوراق المتراكمة فوق الطاولة، وأتيت أمنح عيوني قسطاً من الراحة والاسترخاء.

. وهل تعملين على الحاسوب ؟

. أنا أعمل لحسابي الخاص .. لقد ألفت كتاباً عن مهارات الحياة وأقوم بتنسيقه استعداداً لطباعته ..

. ما شاء الله لا قوة لا بالله .. ما هي دراستك ؟

. لقد تخرجت من كلية الاجتماع منذ أكثر من عشرة أعوامٍ .. وتابعت الدراسات العليا حتى حصلت على درجة الماجستير وهآنذا أعد رسالة الدكتوراه.

. وفقك الله .. ولكن .. هل تسمحين لي بسؤال ؟

ابتسمت المرأة من جديد .. رغم أن الابتسامة لم تفارق شفتيها أبداً:

. لابد أنه نفس السؤال الذي يطرحه علي من يعرفني لأول مرة ... قصة الرجل المبتورة .. أليس كذلك .. الحمد لله فلم يعد يؤلمني السؤال ...لقد أصابها مرض خطير، تفاقم واستشرى حتى بات يهدد حياتي كلها .. صار الموت المحتم يتسلقها خلية خلية .. وكان لابدّ من البتر إنقاذا لما تبقى من أعضاء الجسد .. بل وإنقاذا للحياة نفسها .. وصارت معادلة (رِ رجل مبتورة خير من حياة سقيمة تتدهور إلى موتٍ سريعٍ) تفرض نفسها كحلٍّ وحيد .. ..

وهأنذا كما ترين سليمة صحيحة لا ينقصني سوى ذاك العضو المريض .. لقد استعدت عافيتي تماما بعد أعوام من الإنهاك والاعتلال والسقم.

ولقد بدأت حياتي ثانية .. رغم الصعوبة في أول الأمر ..

وتكيفت مع الوضع الجديد .. وانطلقت أرفض الهزيمة والاستسلام فالحياة لا تتوقف مهما كانت خسائرنا فيها .. وليس أروع من أن نصنع نصراً بعد أي خسارة.

أصغت سلام بقلبها إلى كلّ كلمة ..

أصغت بعقلها .. بجوارحها .. بكل ذرة في كيانها.

كان الحديث رغم إيلامه عذباً .. يلمس في النفس شفافية وثقة .. ويوقظ في مخازن الذاكرة مشاعر الصحوة .. ويفتح صناديق الأماني الغافية في سباتٍ قديمٍ.

غالبت دموع اليقظة ومدّت إلى المرأة المقعدة يداً مرتعشة:

. أهنئك من كلّ قلبي .. وتشرفني معرفتك وصداقتك ... ولكن أستأذنك الآن .. وأرجو أن نلتقي دائما إذا سمحت لي.

. بكلّ سرور ... رافقتك السلامة.

غذت سلام خطاها أول الأمر .. وكأنها تهرب من شيءٍ ما ...

أو كأنها تتجنب لحظة مواجهة مرة ... أو لعلها كانت تسارع إلى اقتناص صيد ثمين لمع بارقة في سماء فكرها .. أو تسابق إلى استبقاء ذاك التوهج الذي سرى في خواطرها ..

ما أشبه حياة المرأة الغريبة بحياتها .. ..

لقد أصاب العطب حياتها الزوجية ... وبدأ يتغلغل كالخلايا القاتلة التي تبتلع كل ما حولها ... لقد تحولت جزئيات الحياة والتفاصيل الصغيرة فيها إلى مجازر تقتل براءة الحب وتغتال الود والرحمة وتشوه وجه السكينة والسكن .. .. وبعدها ...

ألم يرحل زوجها باحثاً عن امرأة أخرى علّه يجد لديها ما لم يجده هنا ..؟!

ألم يكن فقده اقتطاعاً لحقّها في السعادة والهناء ..؟!

ألم يكن زواجه الثاني بتراً لجزءٍ عظيمٍ من قلبها .. وروحها ..؟!

لقد عاد إليها بعد تجربته الأخرى، بغير الوجه الذي ذهب به ..

نعم .. إنه يعود إليها الآن محملاً بدفء ما .. .. بتغاضٍ مقصودٍ عن منغصات قديمة .. بتوددٍ يتألف به مشاعرها ويضمّد به جراحها ...

إنه يعود إليها بين الحين والآخر حسب موازين العدل الأرضي ليحيل التفاصيل التي كانت تجلد روحها وتعذب لحظات عمرها إلى صمت جميل .. ووداعة آسرة وهي الآن تعيش خالية أو شبه خالية من المشاكل والنكد ... حياة مبتورة .. ناقصة ... لكنها تنعم بالسلام فما أشبهها حقا بحياة تلك المرأة المقعدة ... ما أشبهها ...

مع الفارق الذي أدركته سلام مؤخرا ... بأن انغماسها الشديد في أحزان فقدها هذا واستسلامها الخائر لمصيبتها يجعلها تغدو كياناً مهملاً مهمّشاً لا دور فعال له في حياته ..

أدركت سلام السر الذي يصنع الفرق بين الأفراد .. و الذي لا يقصر القوة على تحمل المصيبة فحسب .. بل يتعداها إلى تجاوزها واحتوائها بإيجابية فعالة ..

أدركت فعلاً أن الصبر والتسليم والرضا أجزاءٌ لا تتكامل إلا بالتحدي والمواجهة والإنجاز.

أقصوصات

الفخ الأخير

كائن جريح ..

تصيّدته مجموعة من الأفخاخ المنصوبة بذكاء مطلق ..

كيف لا .. وهي أفخاخ صنعتها الأقدار .. بحكمة ولحكمة ..

بلى .. لقد وقع ذلك الكائن في شرك الملك .. المال .. العلم .. الأدب .. الحب .. الغريزة .. الذرية ..

إلى غير ذلك من مصائد، يأخذ بعضها في رقاب بعض

مصائد تتموّه أمامه .. فلا يكاد ينقل خطوه فيها، حتى تزلّ قدمه إلى هوّة سحيقة العمق ..

هناك حيث تتلظى جوارحه .. وتدمى مساماته .. وتنزف خلاياه ..

بقع من دماء ذلك الكائن الجريح متناثرة هنا وهناك والنزيف لا يتوقف ..

والعمر .. بأيامه السابقة واللاحقة ..

يتكدس .. رهينة .. في يد الموت .. رهينة تتوق إلى ذلك الفخ الأخير.

الوهم الكبير

من بعيد .. رأته ضخماً ..

مشى .. خُيّل إليها أن الأرض تهتز تحت قدميه ..

مرّ أمام منزلها كثيراً ..

راح في كل مرة يلتقط حجراً أو قطعة زجاج ليميط الأذى عن الطريق ..

ملأها الإعجاب به .. وراح خيالها يصور لها أصنافاً من حسن الخُلق .. وألواناً من الكمال الإنساني ..

صارت تنتظره يومياً ..

تصورت أنها ستكون معه أكثر أماناً وحماية ..

قبلت به ..

وحين لمسته ..

وجدت رجلاً من الفِلّين.

مقبرة البنفسج

بحوافره الأنيقة .. داس الحصان الأبيض كل زهور البنفسج قتلها جميعاً ..

وترك حديقة العمر .. مقبرة بشعة ..

قطفت ليلى الزهور الباقية ..

لملمت كل ما نجا منها ..

رصّعت بها قبرها .. زيّنته جيداً ..

ثم .. ..

جلست تنتظر الموت.

الكائن الخرافي

مرت عليه آلاف السنين .. بطيئة .. ثقيلة .. رازحة ..

كان خلالها .. ينمو في أيامٍ قلائل .. بسرعة هائلة مذهلة .. بينما يتوقف نموه .. تماماً .. لأعوام وأعوام ..

مات كثيراً .. وعاد إلى الحياة مرات ومرات .. لذا لم تعد خلاياه حية، كما الكائنات الحية ..

لقد أ صبح غريباً عن كونه .. وعن ذاكرته ..

تنزف جراحه دماً حيناً .. ودموعاً حيناً آخر .. وثقة أو حرية أو سعادة أحياناً كثيرة ..

قد .. قد تثقل كاهله المتهالك ريشة سقطت من طائر يحلق في السماء .. وقد تنوء رئتاه الغامضتان بتناوب الشهيق والزفير.

قد تنكر عيناه المرئيات تحت ضوء الشمس .. ولا تعترف إلا بالعتمة والظلمة والعدم .. وقد يرف حقاً لرفة جناح فراشة، لبحّة بلبل عذبة، لنسمة أصيل ساحرة، لكلمة عهد صادقة، لسحر صمت جميل ...

وعبر آلاف السنين ...

وتحت عباءة لياليها المديدة .. تشكلت جوارحه على نحو آخر .. وأصبح أسطورياً ..

له رأس أسد .. وجناحا نسر .. وأقدام فيل .. له قرون غزال .. وذيل حصان ..

ومن بصمات العصور المتلاحقة فوقه .. نقرأ سطور تاريخه الطويل .. متحجراً .. متبلوراً .. متمعدناً .. حتى غدا الكائن الخرافي أخيراً.

حديث مع موؤدة

أيتها الموؤدة ... ألم تصلي بعد إلى نهاية المطاف .. ؟

أما آن لك أن تستسلمي بعد طول صراع أدمى عمرك كله .. ؟ أن تتركي السباق وقد خذلك حصانك المطهم .. ؟ أن تعترفي بالخسارة المؤكدة والانكسار المحقق .. ؟ أن تعلني إفلاسك وقد باءت كل أحلامك بالفشل .. ؟

لقد أغرق الطوفان حصونك المشيدة، وأبراجك الشامخة .. ولا عاصم اليوم لك .. ولا ملاذ ولا عزاء .. لقد دمر الإعصار مدائنك القرمزية الحالمة .. وغاباتك المليئة بالخيال .. وأفسد محاصيلك الموعودة .. وبدد غلالك المتوقعة .. لقد أعادك الجهل والتخلف .. إلى الوراء ألف عام وربما أكثر .. فكأنك ترقدين تحت التراب ..

أيتها الموؤدة .. منذ متى وأنت ترقدين تحت التراب ... ؟ هلمي .. فلتنبشي في تاريخك العظيم عن يوم الوأد المقنع ..

هل كان يوم كذا ؟ .. أم كان يوم كذا ؟ .. أم أنه يوم .. .. ؟؟

ولنعد إلى الوراء أكثر .. نعم هو ذا ..

يوم الفصل .. لحظة معرفة نوع المولود " أنثى" لقد جاءت من عالم الرحم تحمل أدلة إدانتها ..

أنثى .. إنه سبب كاف تماما للاعتقال بتهمة الجريمة الكاملة .. وصدر الحكم فورا " الإعدام "

أما كيف ..؟ .. فالطريقة غير محددة .. ولا بأس باستخدام جميع وكافة وكل ما يمكن من الأساليب والطرق .. تباعا .. تباعا .. فالمدة غير محددة وتستغرق سنين العمر كله .. ولا مانع أبدا .. شرعيا أو قانونيا يحول دون ذلك ..

وبعد ... فلابد أن تكوني قد فهمتِ المطلوب ..

أيتها الموؤدة .. إنه أن تكوني /أنت بالذات / كتلة من الموت تتنفس جيدا لتقوم بالأعمال الشاقة المؤبدة على خير ما يرام ..

إذن فلتموتي .. فقد استحال طيب العيش .. وليتحول هيكلك العظمي إلى نوع راق من الرخويات لا قامة تنتصب لها .. ولا تخضعي أبدا ..فالخضوع هو إحساس قاتل بالحرية والحرية / شرف إنساني / كبير لا تناله المخلوقات الدونية .. ولا تتطاول إليه .. ولا تفهم معناه .. هلمي .. فلتقنعي بكل هذا و على هذا النحو، فلا خيار .. أَحبّي لغة الموت .. ورددي كلماتها العذبة في كل آن .. انصاعي قلباً وقالباً لكل مفاهيم الموت ومعانيه ..

أَبطلي مفعول قنابل الحياة والحلم والذات .. حتى تظل رقدتك .. تحت التراب .. هانئة حتى الموت.

كن رائع الجمال

ألقى الدكتور حسان نظراته الأخيرة المتفحصة على أركان العيادة وزواياها .. ثم امتدت يده إلى فواصل القاطع الكهربائي العام يهم بإنزالها ن فإذا به يسمع خطوات متسارعة تتجه نحو الباب .. ... أطل برأسه رجل لاهث: . لا تؤاخذني دكتور .. تأخرت عن موعدي .. آسف .. أنا آسف ولكنني .. ...

نظر الطبيب إلى ساعته اليدوية .. لقد تجاوز الموعد بساعة لكن الوجه الجديد بلونه الخمري وعرقه المتصبب أثار شفقته أولا ثم أثار فضوله .. إنه ليس وجها جديدا .. فقد قابله مرات

عديدة لكونه طبيب العائلة منذ أمد بعيد .. لكنه اليوم يبدو مختلفا .. مختلفا تماما .. أدنى إليه كأسا من الماء البارد .. بينما عيناه تتسمران فوق الملامح الغاضبة المكفهرة ..

كان الرجل حانقا يتذمر ويتأفف ويتوعد .. لكن الطبيب لم يكن يسمع كلمة مما يقول، وكأنه ينظر إليه من خلف لوح زجاجي سميك .. لقد شغلته الملامح الجديدة المختلفة عن سماع دواعي الغضب والتذمر والحنق .. ولم يعلق على ما سمع إلا بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل.

قام الطبيب بارتداء الصدرية البيضاء مرتديا بها الشخصية المهنية .. مستحضرا صفاء الذهن ومستدعيا عوامل التركيز المطلوب للفحص السريري ..

تمدد المريض فوق سرير المعاينة .. وأغمض عينيه قليلا مستسلما باسترخاء لأصابع الطبيب التي تتحسس مواضع مختلفة من جسده .. متتبعا تعليماته بدقة (خذ نفَساً عميقا .. احبس نفَسك .. ارفع لي عن يدك .. حسنا .. انهض ..)

بعد انتهاء الفحص .. دار حوار هادىء بين الطبيب ومريضه ..

كان الحديث أقرب إلى الحميمية ..فتساقطت شجون وشجون .. والتقت أفكار بآمال .. وغابت في ثنايا الحوار حالات وصور لتظهر أخرى في محلها .. وتصافحا .. تصافحا في نهاية اللقاء .. صديقا وصديق.

تأمل الدكتور حسان وجه مودّعه .. لا لم يكن الوجه الذي ودّعه، نفس الوجه الذي استقبله

" ترى ما الذي تغير فيه ؟؟؟ " تساءل باستغراب ... سارع إلى المرآة .. تفقد ملامحه .. تساءل من جديد ..

" هل يمكن للقبح والجمال أن يتناوبا على ملامح واحدة ؟ وأن يستوطنا نفس الوجه ؟ ".

" هل تُغير الحالة الذهنية أو الشعورية قسماتنا إلى هذا الحد؟ "

" هل يمكن أن أكون جميلا في حين .. وقبيحا في حين آخر ؟ "

" هل تصير المقولة الذهبية .. **كن جميلا ترى الوجود جميلا** .. صحيحة في عكسها ؟ " .. .. ..

عاد حسان إلى بيته والتساؤلات المزدحمة تترى في عقله .. وهاجس الجمال يطغى في أفكاره وخواطره .. استعد للنوم بعد أن صلى العشاء .. وفي طريقه إلى السرير قابلته مرآة غرفته ..نظر إلى وجهه ثانية ..

قال مقتديا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:

" اللهم كما حسنت خَلقي حسّن خُلقي " ..

يا الله ... صدقت يا رسول الله .. يا من أوتيت جوامع الكلم .. فما أروع وأصدق الرابط بين الجمال وحسن الخُلق ..

أسند حسان رأسه على حافة السرير وهو نصف متمدد وقرر الإبحار في سياحة فكرية منظمة تجول به بين عوالم الأفكار التي قرأها في صفحات الكتب .. قال لنفسه .. إن الطريقة

التي أرى بها العالم هي التي تصنع العالم الذي أراه .. نعم هي التي تصنعه .. فلو أردته جميلا أصنعه أنا بطريقتي .. بأن أنظر إلى الأمور بمنظار إيجابي فأرى النصف المملوء من الكأس .. وأحس بالنعم التي لدي .. ولا أبتئس بما ليس لدي ... بل لغيري .. الله أمرني ألا أمد عيني إلى ما متع به سواي .. ليفتنهم فهي إذن فتنة .. واختبار .. بلى .. إنها فتنة .. يشهد فيها المرء وراء كل منحة محنة ووراء كل محنة منحة .. بلى .. وراء كل منحة محنة تمسك بتلابيبها .. لا لتشوّه النعمة أو تنقص من قدرها .. بل لتؤكد عظم المسؤولية ووطأة التكليف ..كما نلمس وراء كل محنة منحة .. فيصير المرض فرصة للتطهر .. والألم باعثا على التجلد وحشد القوى المعنوية والنفسية .. كما تصير الحاجة أما للاختراع .. وينتهي بنا المطاف على كون النتيجة المحتومة ترتبط تلقائيا بما سبقها ارتباط / فعل ورد فعل / ... وعلى قدر القناعة والرضا اللذين يغمران رد الفعل .. وعلى قدر التسليم لصاحب الأمر .. يطمئن

القلب .. وتسكن الروح .. وتهدأ الجوارح .. وبالتالي تحمُل الملامح وتعذُب.

أغمض حسان عينيه استعدادا للنوم ..

بدأ بقراءة أذكاره اليومية .." أمسينا .. وأمسى الملك لله .."

الملك لله .. لله الفعال لما يريد .. إذن فلأرضى بما قسم لي.

ولأبتسمْ .. وأنا أقفل أجفاني في نهاية الرحلة النهارية .. ولأبتسمْ .. وأنا أفتح عينيّ لأتسلم فجر نهار جديد ..وتحت ظلال ابتسامة الرضا هذه ..

ستتفتح براعم الجمال الداخلي الرائع لتزهر في مسامات الجسد إشراقا .. وجمالا .. وروعة.

فهرس المحتويات

كن رائع الجمال ٣

الإهداء ٥

حديث الطين ٧

بين دائرتين ١٢

لله يا محسنين ١٥

السباق ٢٠

حبال السماء ٢٦

قشرة البيضة ٣٠

المقاعد الخالية ٣٥

مصباح علاء الدين السحري ٤٤

أطلال مدينة ٤٩

أيهما أقوى ٥٢

أوراقٌ مريضة ٦٠

النداء ٧٠

بقعة حبر ٧٢

على ثوب الزفاف الأبيض ٧٢

الزنزانة والحصان ٧٤
الوجه الآخر للقمر ٧٥
عسل الصبار ٧٧
الرجل الآلي ٧٩
لحظة مواجهة ٨٦
أقصوصات ٩٦
حديث مع موؤدة..... ١٠١
كن رائع الجمال ١٠٤
فهرس المحتويات..... ١١٠